

باولو كويلهو في تونس بمناسبة المعرض الدولي للكتاب: أملنا كبير في قدرتنا ككتاب على إيجاد حوار فقهه الساسة وعجزوا عنه من زمان!

حوار: شمس الدين العوني

■ ببشاشة الأطفال المعهودة لديهم وبلكنة خاصة في نطق الفرنسية، وقف السيد باولو كويلهو يحضني قائلا «مرحباً... صديقي الشاعر».. كنا على موعد الصبح الجميل لمعرض تونس الدولي للكتاب.. بعد حصة الصور والكتب أخذ أنفاسنا من سيطرة برازيلية لينطلق في حديثه... استذكر لقاءه بالمعرض حيث قدمه الدكتور بوبكر بن فرج مدير المعرض قائلاً: «إنه قريب منا ومن أحوالنا في الحياة وفي الكتابة».

الخيماطي، إحدى عشرة دقيقة، فيرونيا تقرر أن تموت، الشيطان والآنسة بريم، على نهر بيدرا هناك جلست فيكيت، الجيل الخامس، حاج كومبوستلا والزهير... مؤلفات صنعت مجد هذا الكاتب ولستها في هيئة جلوسه وحديثه وفي نظراته المغممة بما هو باطني وروحي...

الكتابة هاجس وكفى وهو لا يكف عن تمجيد أفعالها المختلفة في جغرافيا الكون دينه الحب الإنساني الخالص قتلا للخراب...

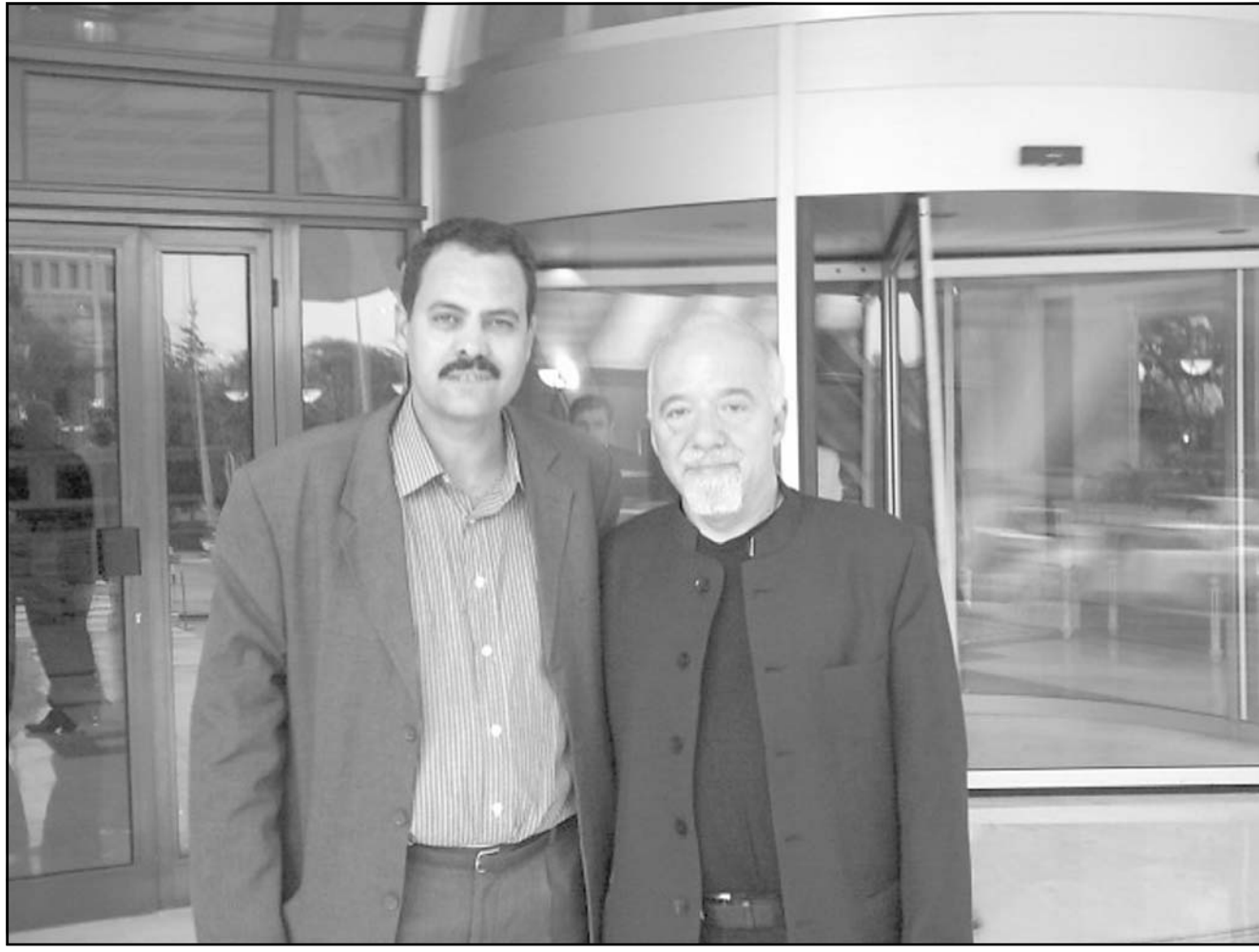
■ إيجاد حوار فقهه الساسة وعجزوا عنه من زمان...
 ■ اختلف النقاد بشأنك فهناك من يرى ثراء وأهمية ما كتبه وهناك من يرى العكس فكيف ترى الأمر؟
 ■ أكتب لنفسي أولاً وفيما بعد أرى أن الجميع أحرار والنقد حر في حبه للنصوص أو تركها، أنا ككاتب ليهمني الآخر بطريقة جيدة... ولا أنتظر شيئاً من النقد سواء الذي يمدحني أو ذلك الذي يذمني، هذه ليست أمياني وأهامي، ما أرمي إليه هو أن أكون قادراً على أن أفهم كإنسان وهذا مهم بالنسبة لي في سياق تجربتي في الكتابة.

■ الكتابة كفعل حضاري في هذا الكون؟
 ■ فعلاً كما قلت لك نحن لن نقدم أجوبة على أسئلة الكون، فالأجوبة الحقيقية كاملة في كل قلب ولكن على الأقل نستطيع تقاسم الهواجس والقضايا والأسئلة باعتبارنا مشتركين في الإنسانية التي تعيش. والان فنان رجال الأدب والفنانين بصفة عامة مسؤولون أمام هذه المعاني والمشاركة.

■ الأمانة... الكتابة.. وباولو كويلهو؟
 ■ أنا هنا بعيون الطفل وليس بتجربتي كإنسان ولكنني أخذت بالأسياء وبالفاصيل الصغيرة لأننا نشعر أكثر بذواتنا في مثل هذه التفاصيل. زرت في السابق مدنًا بالعالم العربي وفي أول مرة حين زرت طنجة المغربية سنة 1982 أحببت هذه العوالم الساحرة التي كانت تستعني منذ طفولتي لاني كنت متواصلاً مع العالم العربي الإسلامي

من خلال الادب بما هو سفر، اكتشفت ما هو خيالي وعجيب كان يستعني قبل الحلول بالكان ولكن فيما بعد رأيت الواقع في علاقته بما هو متخيل ولست حقيقة ما كان في علمي وما حدثت عنه. لديك ثقافة استثنائية استفاد منها العالم والإنسانية كثيراً وأنا ممنون لكم بكل هذا ولعله من أسباب درجة انتشاري وقراءتي من قبل الكثيرين وهذا بحسب لكم في سياق الثقافة والحضارة...
 ■ الترجمة والتواصل؟
 ■ صحيح هناك مشكلة تواصل أكثر تتمثل في غياب الترجمات وندرتهما وهذا حصل لدينا كبرازيليين وهو أمر صعب على الأدب والثقافة فانا لم أتخذ يوماً أن أترجم إلى اللغة البرازيلية لأن الأمر لم يكن من تقاليدنا. هناك معضلة لدى الأدياء البرازيليين في الترجمة لو استثنينا تلك الترجمات إلى البرتغالية والأجنبية مثلاً...
 ■ هذا صعب رغم أنني ترجمت إلى أكثر من ستين لغة وانتشرت في حوالي 160 بلداً وهذا شأن القارئ الذي اهتم بكتبي وقرأني بل وتوسع لفعل ذلك، ولذلك بلغت كتيبي بلداناً عديدة مثل الصين والإمارات العربية المتحدة وتونس...هكذا كان الأمر، فالف ليلة وليلة قد سافرت إلى أنحاء العالم عبر الانبهار بقراءتها ووجود الرغبة الإنسانية المشتركة في أعماها الأدبي الساحر.

■ الكتابة وسط هذه الفجوات والكوارث؟
 ■ العالم كان دائماً مأخوذاً بالحروب وبالدمار منذ أزمنة قديمة والآن بشكل مختلف ويبدو أن



باولو كويلهو مع زميل شمس الدين العوني (القدس العربي)

من موقع من أجل دور آخر جديد وحيوي في هذا العالم؟
 ■ هو كل دور فاعل يضاف إلى جملة أدوار القوي الحية عبر الصراع من أجل ترسيخ قيم سامية، وهذا ديدن المبدع في هذا العالم. وكل مانيفستو في النهاية ضرب استوري يهدف إلى تحت التواصل مع الآخر...
 ■ شاعر قريب من باولو؟
 ■ هو برازيلي ويدعى مانويل بانديرا، أنا أحبه كثيراً.
 ■ حضورك بتونس كضيف معرض الكتاب الدولي؟
 ■ هي زيارتي الأولى وقد أعجبتني بالإضافة لما وفرته لي من لقاء جمعتي بقرائي، المعرض يمثل جمهور الكتاب وأتمنى احترام وتقدير الأدب، أقدر عالياً شراء الكتب المختلفة لقرائنا وهذا ما شاهدته...
 ■ رسالتك قبل غزو العراق والمليار قارئ؟
 ■ هذه الرسالة كتبتها قبل غزو العراق وقرأها حوالي مليار قارئ. تكمن أهميتها في هذا الدور الذي تقوم به ككتاب وأديب وشعوب وهي ضد هذه الزعة المعادية للإنسانية التي تضع العالم بأسره في خطر وقد كان هذا هو موقفي ليس كبرازيلي فحسب بل لفائدة الأمريكين الذين صاروا الآن أكثر فاعل معارضة للحرب.

القاهرة - «القدس العربي» - من محمود قرني:

كنت أظن زماناً كان الشعراء فيه يقفون خلف تراب امرأة أو تراب وطن قد ولي إلى غير رجعة ليس - لا سمح الله - لعيب مشين في المرأة أو الوطن لكن لأن هذا الوعي الرومانسي المتكظ بالبراءة قد ولي هو الآخر، وانقضت سحابة كانت تصور لنا أفاعيل وأحاييل الإثتن - المرأة والوطن - على أنها مسرات نبوية وطهرانية حتى لو كانتا من الخائنين، لا بأس سنتحول نحن إلى ضحايا وشهداء، وقد فاجأنا الشاعر سماح عبد الله الأنور بديوان حاشد للفلسطين صدر عن مطبوعات اتحاد الكتاب في مصر تحت عنوان «خلاخيل العابرة»، ومنذ السطور الأولى لهذا الديوان الذي يرغى في تانيث أشيائه بشكل لافت، سنجده الشاعر يكتب اهداءة بدلا من اهداء ويقول: إلى فلسطين العابرة امام عيوننا بكل هذا الجمال والجلال وإلى محمد الدرّة وجيله، الذي يعرف طريقه جيدا ويمشي بكل هذه الثقة إلى غده الآتي، الأكثر بهاء.

ولا يكل الشاعر عن استيعبان امراته فلسطين بحيث تعود التمشلات الأولى لأبعاد شعرية الريادة التي زاوجت بين مفردتي المرأة والوطن، وهي مزاجية تستوجب الكثير من التقلبات والتناقضات يؤكد لنا الشعر والشاعر معاً أن ثمة مكاناً أثيراً لكلا الأقطوبين.

ورغم التفاوت الذي يبدو في شعرية سماح عبد الله إلا أنه، ومنذ دوأوبه الأولى، يتصنع بهذا الحس الرومانسي الراق والموهوب، غير أن الحقيقة تشير إلى تآكل الكثير من هذه العذوبة تحت تأثيرات مختلفة، أولها تجاوز الشعرية الراهنة والقرينة لهذا الوعي الفردوسي فبدت شعرية سماح وسط مشهد جيله - الثمانين والتسعين - أبعد بخطوات لأنها ظلت متمسكة بالظروف التي احاطت بنشأتها، وثاني هذه التأثيرات تكمن في استنامة الشاعر للأصوات التي تربي عليها، دون بحث ودوب عن أطواق أوسع للوعي بالعالم معرفياً وشعرياً، لذلك التيار الرومانسي المترهل لدى صالح جودت وسالته التي تتاسل منها في الشعرية الحديثة شعراء محدودو التأثير مثل فتحي سعيد وفاروق شوشة ومن تتاسل منهم أيضاً من شعراء السبعينيات أمثال عزت الطبري، وصلاح اللقاني ودرويش الأسويطي وجميل عبد الرحمن.

ومع ذلك تظل شعرية سماح عبد الله ذات بهاء خاص، تؤرقنا بالسؤال الملاحح دائماً لماذا لم يكن الشعر في الطريق الذي انشده وينشده الأقران؟ وهو سؤال بالقطع لا محل له لأنه يفترض وصاية على نص تم نشأؤه بالفعل ويجب التعامل معه على كينونته الكائنة أو على حالته وهيئته.

نعود إلى الديوان وإلى فلسطين ونوقف أمام القصيدة الأولى في الديوان التي تحمل عنوان - جنازة بليلة - يقول سماح:

البحر الحافي
 يتلصص حول حواف فلسطين،
 يغمض عيناً
 ويفتح عيناً
 حتى أن نام الجند الساحر
 يتسلل
 من بين بياراتهم
 وكعب باندقم
 يجتاز السلك الشائك.

تعاد تكون هذه القصيدة هي الوحيدة التي أقامت حاجزاً ناعماً بين فلسطين وبين المحاولات النؤوب لتأنيث شعريتها وتجلياتها المختلفة سواء كان ذلك على المستوى الإنساني أو الجغرافي الربط داخل النص بعلامات مختلفة للمكان.

سنجد الشاعر في القصيدة الثانية وتحت عنوان - الشعر الحافي - يستلهم محمود درويش عندما يقول - منتصب القامة أمشي مرفوع الهامة أمشي، في كفي غصن الزيتون، وعلى كفي أمشي
 أمشي حتى نعشي
 نعشي بعشي
 قافية تبتعث عن شعر
 أم تترقص في مشيتها
 أم شعر

وسوف نلاحظ أن التماهي لا يقتصر فقط على تمثل معنى الموت وما تيسر فيه من بطولة وتمجيد لمعنى الاستشهاد وقيمته التاريخية بل سوف ينسحب التماهي كذلك على استخدام بحر المتدارك لدى سماح كما فعل سلفه محمود درويش وهو امر جعل فكرة التطابق لا تدور فقط حول التأثير والتأثر وربما بدت وكأنها أبعد من ذلك.

«خلاخيل العابرة» لسماح عبد الله: عودة إلى قصيدة الأرض المرأة والمرأة الأرض

أيضا يعود سماح في القصيدة - التالية ليستخدم الشطر الذي استخدمه سلفه درويش - ليت الفتى حجر - وهو عنوان للقصيدة، وهنا يجدر القول أن سماح ودرويش أخذاً شطرهما عن البيت الشهير - ليت الفتى حجر تنبو الحوادث عنه وهو ملموم - ويختتم سماح قصيدته بالقول:

شوق الفتى
 يشتاقي ينفرج
 ينصب من عليائه كسرا
 ويبتاع المواويل الحزينة
 من رجال الصبر بالدينار
 عذاب السمك العريان
 فيأي آلاء الهوى
 يأتي جميلاً مثملاً لا ينبغي للناحل
 الصديان
 ولاي شيء
 عندما يأتي المساء
 يورق في أضلاعه الزهر؟
 ليت الفتى حجر.

أما في قصيدته حيرة الوهين، فيعود سماح إلى سيرته الأولى وتستحيل فلسطين إلى امرأة مزنة، ونيزكية ذات أريج لتستعيد الشاعر ألقاً غائباً خلف الغنائية المفرطة التي تبدو عليها قصائد الديوان، يقول سماح:

على حين غرة
 تمر فلسطين فوق المر
 مزنة بالبنفسج
 والتبرحة
 والياسمين
 يقول الفتى لفتى:
 أو هذي هي النيزكية
 ذات الأريج؟

ومع استمسك الشاعر سماح عبد الله بالوزن الخليلي في قصائده يحق لنا أن نتامل سواها هذا الخلط العائنه وغير المفهوم بين النثر والشعر في السطر الشعري الواحد دون أن يكون هناك ثمة مبررات لذلك، بحيث تبدو الانتقالات العروضية النثرية ممثلة لنشوز واضح تنفر منه الأذن، ولو كان الشاعر قد اقتصر على الاستخدام العروضي منسfordا أو النثري منسfordا لما وقع في هذا الخلط ولا أظن الشاعر كان يقصد إلى المزج الذي يمكنه إثراء النص، ولنقرأ ما يقول:

يا صاحب البندقية
 قف
 وخذ قححا
 من الحليب
 وخذ تمرا
 وفاكية.

وسنجد أن السطر الاول يقع بين الرجز والمتدارك والسطر الثاني من الرمل والثالث يعود فيه إلى الرجز وهي تفاعل لا تشكل في نهاية الامر دائرة عروضية متكاملة تزيل هذا الالتباس الشعري النثري.

يتأكد هذا المعنى ولكن بشكل سافر يمثل سمورا عروضية لا تليق بشاعر يتمسك باداته الراحسة في قصيدة - الأقوال الأخيرة لمحمد الدرّة - حيث يبدأ الشاعر قصيدته بغنائية واقعة وسرعان ما يقع في الكسور العروضية حيث يبدأ بالقول:

انثر عبيرك
 في هوائي الباقي
 ياوطن الشهداء
 والعشاق
 واعبر أمامي مرة واحدة
 لأراك

حيث تواترت في السطر الاول والثاني - مستفعلن، متفاعلهن، فاعل بزيادة سبب خفيف، لكن التفعيلة تنقلب رأسا على عقب في السطر الثالث وما يليه إلى المتدارك غير المنتظم، وغير السليم.

يتجنى سؤال الشعر دائما وأبدا أكبر من هذه القراءات المتحججة التي قد تظلم أو تنصف سماح عبد الله وغيره من الأقران والأنداد، ولأن أشياء غير محصورة بتغيير حولنا، سيكون من العار على الشاعر، أي شاعر، أن يستمرء غيبوبته ويستدفىء بعزلة موهومة مبتورة الصلة بالأشياء الجذرية لذلك صرت انظر بهدشة وغرابة لفلسطين سماح عبد الله الأنور التي تبدو مزنة بالورد والباسمين، بينما هي في الحقيقة مرعقة في الوحل وتحتاج منا إلى بذل الدم قبل بذل الشعر، تحتاج منا إلى وعي أكثر حدة ينظر رأسيا إلى الجرم وإلى الوجع ولا يتكفي بإتسامه براحه ناعمة.

وصغار الأطفال في القرية الحزينة.

5 - أرض الكراكيب



انتظرت وحلك،
 أخذته وأعيدته إليك
 في كل وحل وحل آخر.
 أعرفت أنني لن أصل إلى حادث سيء
 في هذه المدينة الواقعة.
 ومثل كل الناس
 سأستبدل شيئا بشيء.
 أزيل الشحم والقمامة من زوايا بيتي،
 أنتظر وحلك في زاوية من المكتبة.
 الزاوية المخصصة لحزني
 حين يغادرني
 وأعدا بالرجوع.
 كلما كانت الزاوية
 سيئة الإضاءة
 كلما كان الصيد وأفرا.
 هذه هي حيرة الزمان
 حبيبتني
 أحس أنني كنت أمتلك
 كلمات
 وضاعت في الطريق،
 هدهما من جاؤوا بعدنا.
 كسروا حروفها وأنغامها
 كما تهدم الجيوش المدن
 الكبيرة.
 وحين تدور الساعات دورتها
 تنهض كلماتي الطروادية،
 تجلس على بابك
 وإلى جانبها التراب و أوهاام الأشجار المزهرة.
 وتنام بلا مخدة.

والنصيحة، عكس ذلك،
 توصل هبوطها مع المطر،
 ونموها مع الأشجار.

4 - ما قالت حياتي بلا صوت

عندما اشتاقت إلى الخلية،
 ارتمت حياتي من الشجرة،
 كانت تنظر ليها الأسماء
 من مائها.
 رفاقها الطيور
 وشوا بها.
 طارت إليهم بدون ريش،
 وحضنتهم بدون أجنحة.
 ما قالتها الطيور مغردة،
 قالتها حياتي بلا صوت.
 إليك أيها السنوات
 أرسل شيئا نارية،
 لأريك كيف نزين قلبا
 وننظفه
 ورغم أنني أرثيه كثيرا.
 ما أصابه هو ما يصيب كل القلوب
 التي مشت في أزفة هذه القرية الحزينة.
 هو أشهر قلب
 ابتدع نبضاته
 ونسيها.
 فبقي يرى من بعيد
 كأنه خيط يتحرك
 على إيقاع المستقبل البطيء.
 خيط
 لا أحد يبتاعه
 رغم حاجته إليه.
 لا يأتيه إلا صغار الطير

بقيت قطع غيار أخرى،
 تلحس بلسانها كل شيء على القارعة.
 لم يغن روميو وجولييت أمام جمهور كبير.
 وهذا هو منجمهم العميق.
 نجمهما الصامت يربق كل الطريق
 البيضاء كالقطن.

2 - الوتر المشدود يرتض

ما زال الوتر المشدود
 يرتعش.
 يجب أخذ كل بلاغة في الاعتبار،
 مظلما يأخذ الشعراء
 كل كلمة في الاعتبار.
 الكلمة تحيط بالشيء،
 لتعرفه
 وتطلب به.
 الشيء يهرب
 حتى تصدر عن الكلمة
 لغة أو طرفة.
 ركة الكلمة
 تنفي الشيء،
 والشيء ينفي الكلمة.
 ونحن لا نعرف
 إلى أين تضي هذه اللعبة.

3 - طريق بيضاء كالقطن هنا،

في أرض الصباح،
 كان يلتقي روميو وجولييت.
 أزراهما مازالت تلمع على الأرض.
 ستأخذها الريح في الليل
 بعيدا.
 هنا أيضا،

خمسة قصائد

محمود عبد الغني *

1 - فرانسيس بونج

يضرب على الطاولة

بعدهما آثار المسائل
 التي لا حل لها،
 ضرب على الطاولة.
 كان يتحدث عن الموسيقى،
 عن الشعراء الذين فقد دينهم
 من قيمتهم،
 عن القلم،
 هذا العضو الإضافي في اليد.
 عن الانفذاعات الإيروسية.
 عندما يتدفق كل شيء،
 دفعة واحدة،
 يبدو كل شيء حسنا.
 يشتد حس المطاردة.
 مطاردة الكلمات
 وكل ما قرأه البارحة.
 ضربات. ضربات. ضربات.
 كلمات. كلمات. كلمات.
 ولم يذكر فرنسا بعد.
 الكلام هو الدم الحقيقي للإنسان.
 ...



الاسبوع القادم تنطلق الدورة 59 والفلسطيني أيليا سليمان عضواً في لجنة التحكيم الدولية؛ مهرجان «كان» السينمائي يزيج الكبار وينتصر لسينما الشباب وتوريات السياسة واستعدادات التاريخ والنزعات الاجتماعية أبرز القضايا



أيليا سليمان

زيد الخزامي *

لولا المصرية المقيمة في كندا المخرجة تهاني راشد (مواليد القاهرة 1947، درست في أكاديمية الفنون بمونتريال، وقدمت باكورتها الوثائقية عام 1973، ولها «أربع نساء» 1977، «سريدا، امرأة من فلسطين» 2004) وفيلمها الجديد «البنات دول» الذي سيعرض خارج منافسات خاتمة «نظرة ما» لكان العرب وسينماهم، كرة أخرى، في حكم الإقصاء ضمن قوائم عروض الدورة التاسعة والخمسين لمهرجان كان السينمائي الدولي (من 17 وحتى 27 من الشهر الجاري)، ورغم ذلك فلن يشفع لهم اختيار اللجنة المشرفة لاسم المخرج الفلسطيني المميز صاحب «يد الهية» و«قواعد اختفاء» أيليا سليمان ضمن فريق لجنة التحكيم الدولية التي سيرأسها الصيني وانغ كار واي صاحب «في مزاج الحب» 2000 (ضمنهم الممثل الايطالي نونو بلونجا ونظيرتها البريطانية هيلينا بوهام كارتر والصينية تسانغ زبي والمخرجة الأرجنتينية لوكراتيا مارثيل والممثل الأمريكي صومونيل جاكسون وزميله البريطاني تيم روث وأخيراً المخرج الفرنسي ذائع الصيت باتريس لوكوت. أما منافسات «نظرة ما» فسيرأسها مونتري هيلمان، فيما يرأس الاخوان المليكيان الحائزان على سبعة ذهبية العام الماضي عن «الطفل» المخرجان لوك وجان بيير داردين لجنة تحكيم «الكاميرا الذهبية» إضافة إلى جج اسم تونس وسينماها ضمن احتفالية «كل سينما العالم» التي سيرفع علمها الوطني مع عروض سينمائية مختارة جنباً إلى جنب مع كل من إسرائيل التي تتواجد هذا العام بزخم قوي ومروسي في كل زاوية من كان وأقلامها تعرض في أغلب الخانات!! فيما يتمترس منتجها وموزعها وصاحبها وأقرب صناعتها وعلى مدى الأيام العشرة الأساسية للمهرجان داخل الباحة الخاصة بالسينما الإسرائيلية في سوق الفيلم ذي التأثير الهائل على مستويات البيع والتوزيع ونسب الحضور على المشهية السينمائية الدولية، داعين اسم سينماهم وصناعتها في أجمعاتها وصفقاتها وتنظيم أسرتها مع أقاربهم في توصلهم مع أقاربهم في هوليوود وتضمن آخر أرقامهم لاسواق العالم، في حين يصير المسؤولون العرب على استغياهم السينمائي والاعلامي، وأصراهم على تقديم أنفسهم كشهداء للتناقض غير المنصف، وانغماسهم في فورة الفضائيات سيئة المقاصد والثابت على حساب صناعة الفيلم التي تشهد تحدياً وانهياداً منملاً لصالح حياتنا الجديدة ذات ارتباطات مالية مشوهة تستدعي لها نقدياً في القريب العاجل. هناك تحيات ماثلة لكل من روسيا، سنغافورا، سويسرا، فنزويلا، تشيلي في حضور 80 مخرجاً منها للتداول والتعريف بأقلامهم.

من محاسن الصف للحمور العربي المختار، وأن كان تحت اسم فرنسا، إن يقع الاختيار للمناقشة ضمن المسابقة الرسمية على المخرج والمنتج الجزائري الفرنسي رشيد بوشارب (له نصوص مشهورة لها بالفردة على شاكلة «أوتون ووج» 1985، «حباب» - حاصلة على جائزة الشباب في مهرجان كان 1991، «غبار الحياة» 1995، «السفاح الصغيرة» 2001) وجديده «أيام المدج» الذي بلغت ميزانيته 18 مليون دولار ومكثته من إعادة مشهديات لمحمية حول أفراد الكنيسة الشمال أفريقية (من الملتحقين الحرب الجزائرية) التي أبلت خلال مشاركتها الحادية ضد النازيين وحكومة فيشي، وللعنوان يعود إلى أيام عامي 1944 - 1945 التي شهدت معارك ضروس لتحرير إيطاليا والياب والوالي الرون. أنها كحكايات أربع شخصيات هم سعيد (الممثل جمال بوز) باسر (سامي نصري)، عبد القادر (سامي بوجيلة)، مسعود (رشدي ريم) من ضمن 110 ألف متطوع من المغرب والجزائر (هناك 20 ألفاً من سود أفريقيا)، يرصد بوشارب الانقلابات الكبرى في حياتهم ومصائرهم ومواجهاتهم للموت على الجبهات، ومثلها الحنين إلى الأهل البعاد. يعيد بوشارب التحية لهؤلاء الجيوليين الذين تمسحهم فرنسا بأصرار استعماري بد الجنود الملهين، أو الوطنيين؛ إضافة إلى اسم بوشارب سيرض الموريتاني عبد الرحمن سيساكو (صاحب في انتظار السعادة)، عمله الأخير «ماكو»، خارج تنافسات «نظرة ما» ومثله الباهورة المشتركة لتفليب بارنو ودوغلاس غوردن حول نجم كرة القدم الفرنسية زين الدين زيدان.

السياسة وتورياتها، التاريخ وبعصائه والنزعات الاجتماعية هي القضايا الثلاث الرئيسية التي جمعت في ما بين الأشرطة العظريين التي تتنافس داخل المسابقة الرسمية. لا أرسم هنا خطوطاً تيسيرية من باب تقابلها الدرامية أو معالجتها الفنية، بل إن الهاجس ينصب على الديتات المفتوح للسنيما حينما تقار موضوع متشابهة العناوين، بيد أنها ستقاربتاً بخصائصها المتضاربة، شديدة التناقض في اشتغالها. فكمما ذهب بوشارب في شربق فصل من التاريخ الخفي للحمية الاستعمارية التي جاهدت في أعماق بطولات واستعدادات آلاف من متطوعي المستعمرات الأفريقية، يعمد شريكه المخرج الفرنسي الهوب برونو دومونت



لقطة لفيلم شفرة دافنشي، (تحت الملصق)



كان سابقة سينمائية وضعت شركة مأكو نالدز في مواجهة طيبة وصحية سارت بتسببه إلى تخفيض معدلات نمو التسعين الداخلة في صناعة شائع المهورغر والمباصل التي يقبل عليها جمهور عالمي واسع النطاق.

الصيني لوي (له «الفرشة القرمزية» و«نهر زوتشو») يعود بنص تتخالت السياسة فيه خلف قصة حب بين شابين تشهد لوعاتها أربع من صينية وخاسمتها العاصمة الألمانية برلين؛ شريط «القصر الصفي» (140 دقيقة) يستعمر اسمه من متزده أميراطوري شاسع وأخاذ يقع وسط بكين، وتمتد أحداثه من عام 1980 وحتى العام 2000. المشكلة العالقة في كان على رغم إعلان مشاركته في المسابقة أن السلطات الصينية ما زالت تنتظر إجازة الرقابة لإطلاق سراح العمل الخاسم للمخرج بي والسبب كثرة الاشارات السياسية الدولية مثل انهيار الاتحاد السوفياتي وسقوط جدار برلين وعودة هونغ كونغ وأخيراً «السباحة» السياسية الشهيرة التي قام بها الرئيس الراحل دينغ زهاوبينغ التي المقاطعات الجنوبية والتي عدت الانطلاقة الرسمية للتحول السياسي الانفتاحي على رأسمالية الدولة، وتبدو الخاوف الرسمية غير واضحة لأهل كان كون الفيلم يخلو من أي إشارة لأخطر حدث سياسي محلي: مجازر ساحة تيانمن!

في النص التاريخي، ما كان أحد يتخيل أن تنكر إدارة كان شريطاً امريكية صوفياً كويولا «ماري انطوانيت»، ليس لأن سيئته الحظ هذه فرنسية الأصل، ليكون من الطبيعي، ومن باب الوطنية، اهتمام هذا العمل داخل المسابقة. هذه ليست القضية، الأساس أن كريمة مخرج الايطالية لهذه الشركات، من الممثلين الكثر كما في فيلمها الأول «كنزها الدارمي»، الذي وضعها على الخارطة كمنخرجة موهوبة، في مناسبة هذه الشخصية التي هوى رأسها بعد حياة عاصفة في باريس الثورة. يجوز أن

تداعيات حكايا عن العودة

حنان بكير *

■ ينصرف الحديث عن حق العودة غالباً نحو القوانين الدولية والقرارات والحق المهدور، ورغم متابعتي لكل ذلك إلا أن حق العودة بالنسبة لي هو فعل إيمان غير مطروح للنقاش، وغير خاضع للمنتطق وجدلياته.

ولدت في عكا، بعد اسبوع غفستني أبي في بحرهما. الملح يشد الأجساد الغضة، هل كانت تلك نوبة الألم لأم جاوروا البحر قرونًا، فأعطاهم مرة الخير، وقذف إليهم كثيراً من أشكال العذاب؛ لكنها كانت نعمة لي، قد لا أمنحها ثانية بالعودة إلى مكاني الأول، لكن الأحفاد سيرجعون يوماً مع مواسم السنونو بعدما يتقنون التمشيد.

شاعت الأقدار أن انتمعي إلى الجيل الذي يسمى جيل النكبة بمعنى أنني أقف بين جيل أبي الذي عاش شبابه في وطنه، وبين الأجيال التي ولدت في المنفى، فانا - كرمز لهذا الجيل - الحبل السري الذي يربط مرحلتين.. فتغذيت على ذاكرة أبي وحكاياه.

بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982 جاء صديق لأبي من صيدا حاملاً رسالة شقوية من صديق قديم له ممن بقوا في أرضهم ولم يرحلوا، يقول الصديق لأبي: اتصل بي من خلال الصليب الأحمر الدولي لتأمين زيارة عكا لك وللعائلة. ففرت فرحاً، أخيراً سأرافق أبي إلى مسرح حكاياه وملعب طفولته ونصال شبابه، لكن الهجوم على وجه أبي أعادني إلى وقاري، والدعمة التي سبحت في عينيه الزرقاوين نقلتني إلى بحر عكا.. لعل الحرب ذهبت بعقل هذا الرجل! هكذا فكرت في نفسي. ولم استطع مناقشة الأمر إلا بعد أسبوع حين قال لي: أنت ذهبت لعكا زائراً أو سائحاً، وأرى تشكيلة أمم تحتل أرضي وسماهي وبحري، إذهبي أنت أن شئت.

بعد موت أبي عملت على جمع شتات الذاكرة الفلسطينية من كبار السن. أصابني هوس جمع قصصهم قبل أن يرحلوا بعيداً. في لبنان ارتحلت جنوباً، شمالاً وبقاعاً، ألهمت خلف تفاصيل الحياة التي سئضعب برحيل أصحابها، أكثر هؤلاء اليوم قد ارتحلوا بعد أن أودعوا ذاكرتي ما كانوا يخشون ضياعه تاركين أمانة حق العودة لنا.

الحاج فضة، ابن الثمانين سنة الذي يقطن شرق صيدا، يجب عصر كل يوم أزقة صيدا القديمة كطقس عبادة، لأنها تذكره بزوارب عكا. الحاج حبوش شيخ الصيادين أيام عكا، عندما يمر على شاطئ البحر يشيح بوجهه عنه رغم عشقه له، لأنه بعد بحر عكا ما في بحر. وحين أردت يوماً مباحته قلت له: البحر بحر ما الفرق؛ إنه المتوسط، رمقني بنظرات غسب واستخفاف وقال: لك جائلة وما بتعرفي بحر عكا. الحاج عبد في برج البراجنة، رغم احتفائه بذاكرة تروي تفاصيل البلاد إلا أنه كان يصير كل يوم على الخروج قاتلاً زوجه: أنا نارح أصلي في الجزار، لا تنسي أن تحفظي البيضج وان ترسله إلى المطعم، فقد كان يملك معلماً على شاطئ بحر عكا.

ولأن الرحيل صنو للفلسطيني فقد ارتحلت إلى الشمال البعيد الباراد. كانت حرارة الانتفاضة في أشدها، غضب وقهر يملآن قلبي، كسرت قلبي وقتل ما جدرى الكلام؛ وهل يكون للقلم قوة عبيث.. لا شيء ينفع. عزفت عن مشروع ياساً، ووجدت نفسي ظهر كل يوم أسير مع آخرين كثر نعلن احتجاجنا وتضامنا أمام السفارات والمؤسسات الدولية.

أمام السفارة العبرية، تجمعنا من كل الأعمار والألوان من عرب ونرويجيين. شكل العسكر الترويجي درعاً بشرية أمام السفارة، منعاً لأي خلل أمني، وقد حدث المظفور، وبدأ قذف الحجارة مخالفين الاتفاق بأن تكون المسيرة سلمية. تدافعت حيول الشرطة بيتنا، فتفرقتنا، نحتمي بالأشجار توقيماً من سنابك الخيل، وهدمها الأطفال وقفوا ملتصقين بالحائط الفلسطينية أمام الدرغ البشرية يهدرون بأصوات مرتفعة. غاقلت الخيل وتسللت نحو الأطفال، الجنود كالتماثيل خلف دروعهم، الأطفال منغلون يحدثون الجنود عن نكبة 1948، وكان منديحة دير ياسين، وكفر قاسم، وعن مدنهم وقراهم التي سرقت وكان حديدتهم بالغة النرويجية. سرت في قشعريرة تدغفت وروحي. عدت ادراجي مهولة أحتمي بقلمي واستمحيه عنزراً. إن المفردة الحقيقية هي أن تجزأ ذاكرتنا. عدت إلى بيروت. كلت بمرافقة جزء فجاه من فلسطين لزيارة مخيمات، في مخيم برج البراجنة تحلق الناس حول الزائرة يسألون عن أحوال البلاد. فسحنت مجالاً ووقفت جانبياً.. لفنتني طفل لم يتجاوز السابعة أو الثمانية أعوام جاز ركباً بتيابه المتواضعة جداً وقدميه الحافيتين، شق لنفسه طريقاً بين النسوة حتى وصل داخل الحلقة. دار دورتي وأنا أركب أكثر حول الزائرة التي تحمل عبق الأرض، رفع نظرات مدهشة من عينين زائغتين، مس طرف ثوبها كمن يحس شيئاً مقدساً، بدأ تنكاس في محرابه وسط دهشة الحاضرين قبل أن ينطق ويسأل: انتي جاية من فلسطين؟ اجابته: نعم، واتي راجعة لفلسطين؛ اجابته: نعم، «طيب سلميلي على الكابري»! وأسرع الطفل عائداً من حيث جاء.

وتذكرت قبل سنوات عندما كنت في مخيم الشبيبة مع وفد إعلامي أوروبي.. حيث تجهم الأطفال سائلين الصحفي الإنكليزي: صححيح انتو جايين تاخذونا على فلسطين؟ وصاح آخر: أمتي بدمك توخذونا على فلسطين؛ وصاح ثالث: احنا تعيناهون!

كيف عرفت تلك الطيور المهاجرة أمكنتها الأصلية؛ ازداد إيماني بالقلم وتورياتها.

حين ترجمت للصحفي ما قالوه دمعت عيناه، قلت: للأسف حكومتكم هي السبب.

ما بين جيل رحل ولم يفرط، وجيل جديد يكر لهديه حلم العودة كل يوم، هل من حق أحد كائناً من كان مصادرة هذا الحق؟

*كاتبة من فلسطين تقيم في أوسلو

أقامة أول معرض دولي للكتاب في اربيل شمال العراق

■ اربيل (العراق) - اف ب. افتتح امس الاثنين اول معرض دولي للكتاب في اربيل (350 كلم شمال) بمبادرة من مركز الشرق الاوسط للنشر والتوزيع وبالتعاون مع حكومة اقليم كردستان العراق وبمشاركة العشرات من دور النشر العربية والاجنبية والمحلية، وقال عصام خضير مدير مركز الشرق الاوسط للنشر والتوزيع لوكالة فرانس برس ان «المركز يعمل من الان من اجل ادراج اسم معرض اربيل الدولي للكتاب على قائمة المعارض الدولية ليقام كل عام وبيانتظام في مدينة اربيل، وأوضح ان «هناك كميات كبيرة من الكتب الاجنبية ستباع بأسعار زهيدة ووضعت هذه الاسعار فقط للعراق وستكون الاسعار من 70 سنتا صعودا الى 8000 الاف دولار.

وأشار خضير الى ان «26 من دور النشر العربية و17 من دور النشر الانجليزية من بريطانية وسويسرية

فيلم الافتتاح (خارج المسابقة) للمخرج الأمريكي رون هوارد «شفرة دافنشي» وحكايته عرفها الجميع مع الانتشار الشعبي لرواية دان براون بنفس الاسم حول السر الذي يخفيه الفاتيكان حول أبوة النبي يسوع والحقيقة المخفية في لوحة للافنشي المخوفة في متحف اللوفر، والتي رسمت على النجم الأمريكي توم هانكس وزميلته الفرنسية أوري توتو في لغز الجريمة الغامضة في إحدى قاعات المتحف الباريسي، التوقعات بأن يكون الفيلم الذي سيستقطب الاهتمام الأوسع والسجلات الاعلى هو اشتغال المخرج البريطاني الشاب بول غرينغراس «يونايته 93» الذي يعيد أفلمة اختطاف الطائرة الأمريكية في الحادي عشر من ايلول على يد فسرقي اللبناني زياد الجراح وسقطها لاحقاً في حقل ناء في ولاية بنسلفانيا، بعد محاولة الركاب أخذ زمام المبادرة وقتل الخاطفين قبل ارتطامها بالبيت الأبيض!

* ناقد من العراق يقيم في لندن



لقطة من فيلم يونايته 93